الباب الأول

في رحاب مرحلة المراهقة

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

مفهوم المراهقة ـ لغةً واصطلاحاً ـ

رهقه ، كفرح : غشيه ولحقه ، أو دنا منه ، سواءٌ أخذه أو لم يأخذه .

والمرهق ، كمكرم : من أدرك ، وكمعظِّم : الموصوف بالرهق ، ومن يُظنّ به السوء ، ومن يغشاه الناس والأضياف .

وراهق الغلام : قارب الحُلُمَ ، ودخل مكة ، مراهقاً : مقارباً لآخر الوقت حتى كاد يفوته التعريف[1] .

. . . . ورهقه الأمر : غشيه بقهر ، يقال : رهقته وأرهقته ، نحو ردفته وأردفته ، وبعثته وابتعثته ، قال تعالىٰ : ﴿ وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ﴾ [يونس : ٢٧] .

وقال : ﴿ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴾ [المدثر : ١٧] .

---

(١) القاموس المحيط للفيروزآبادي : ١١٨١ .

ومنه : أرهقتُ الصلاة : إذا أخّرتها حتىٰ غشي وقت الأخرىٰ[1] .

وأما علماء النفس فلهم تعريفات مختلفة ، من ذلك تعريف الدكتور مصطفى فهمي :

. . . إن كلمة المراهقة : Adolcere مشتقة من الفعل اللاتيني Adolcere ومعناه التدرّج نحو النضج البدني والجنسي والعقلي والانفعالي .

وهنا يتضح الفرق بين المراهقة وكلمة البلوغ : pubert ، والتي تقتصر علىٰ ناحية واحدة من نواحي النمو ، وهي الناحية الجنسية .

فنستطيع أن نعرّف البلوغ بأنه : نضوج الغدد التناسلية واكتساب معالم جنسية جديدة تنتقل بالطفل من فترة الطفولة إلىٰ فترة الإنسان الراشد[2] .

لكن بعض العلماء يرجعون المراهقة إلىٰ أصلها العربي ، مثل الدكتور عبد الحميد الهاشمي الذي قال : المراهقة لغة تفيد الاقتراب والدنو من الحلم ، يقال : رهق إذا غشى أو

---

(١) مفردات ألفاظ القرآن للأصفهاني : ٣٦٧ .

(٢) علم النفس : أصوله وتطبيقاته : ٣٠٢ .

لحق ودنا ، فراهق كقارب وشارف وَزْناً ومعنىً ، والمراهق بهذا هو الفتىٰ الذي يدنو من الحلم واكتمال الرشد .

والرهق أيضاً هو الطغيان والزيادة ، وذلك يمثل الحياة الانفعالية للمراهق .

والمراهقة ـ في دراستنا النفسية العربية ـ ترجمة لكلمة Adolecerce ، وأصل معناها اللاتيني هو الاقتراب المتدرج من النضج .

وتبدأ المراهقة بالبلوغ pubert ، ومعناها العلمي هو بدء ظهور المميزات الجنسية الأولية والثانوية نتيجة لنضج الغدد التناسلية .

وتبدأ المراهقة ما بين (١١ـ١٢) سنة من العمر لدىٰ البنات ، وعند البنين ما بين (١٢ـ١٤) سنة ، وتمتد مع البنات إلى السابعة عشرة تقريباً ، أما لدى البنين فإنها تمتد إلى حوالي الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة ، والمراهقة في أصلها عملية عضوية حيوية[١] .

وهناك طائفة من علماء النفس لا تفرّق بين البلوغ

---

(١) علم النفس التكويني : أسسه وتطبيقاته : ١٩٠ـ١٩١ .

والمراهقة ، وتعتبر الكلمتين مرادفتين ، كالدكتور محمد مصطفىٰ زيدان[1] وغيره .

* * *

(١) النمو النفسي للطفل والمراهق ونظريات الشخصية : ١١٥ ، وسيكولوجية النمو : الطفولة والمراهقة للدكتور خليل معوّض : ٢٨٥ .

obeikandl.com

الفصل الثاني

ما قبل سنّ المراهقة

رسم البيان الإلهي الخط البياني لمراحل حياة الإنسان ، وذلك في قوله تعالىٰ : ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴾ [الروم : ٥٤] .

وفي تفسير وبيان معاني هذه الآية ، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالىٰ :

. . . ينبِّه تعالىٰ علىٰ تنقّل الإنسان في أطوار الخلق حالاً بعد حال ، فأصله من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ، ثم يصير عظاماً ، ثم تُكسىٰ العظام لحماً ، وينفخ فيه الروح ، ثم يخرج من بطن أمه ضعيفاً نحيفاً واهن القوىٰ ، ثم يشبّ قليلاً قليلاً حتىٰ يكون صغيراً ، ثم حدثاً ثم مراهقاً ثم شاباً ، وهو القوة بعد الضعف ، ثم يشرع في النقص فيكتهل ثم يشيخ ثم يهرم وهو الضعف بعد القوة ، فتضعف الهمة

والحركة والبطش ، وتشيب اللمّة ، وتتغير الصفات الظاهرة والباطنة ، ولهذا قال تعالىٰ : ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ﴾ أي يفعل ما يشاء ويتصرف في عبيده بما يريد ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ﴾[1] .

إذاً :

مراحل عمر الإنسان المختلفة هي :

أ ـ **الجنين** : وجمعها أجنّة ، وتعني الكلمة ـ في اللغة ـ الولد ما دام في بطن أمه .

ب ـ **الطفولة** : وهو ما كان دون سنّ التمييز ، بحيث لا يدري من هو لصغره ، ولم يبلغ حدَّ الشهوة ، ولا يُطيق النكاح ، ولا يميّز عورات النساء والرجال لصغره ، مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿. . . أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ﴾ [النور : ٣١] .

ج ـ **الصبي والغلام** : اختلف العلماء في تحديد هذين الاصطلاحين ، فمنهم من ذهب إلىٰ أن الصبي هو الإنسان من حين يولد إلى أن يُفطم .

---

(١) تفسير القرآن العظيم : ٥/ ٣٧٢ـ٣٧٣ .

ومنهم من اعتبر الصبي غلاماً ، ومنهم من اعتبر الغلام منذ الولادة إلى سبع سنين .

قال القاضي عياض : الغلام هو الصبي ، من حين يولد في جميع حالاته إلى أن يبلغ[1] .

د ـ **الفتىٰ** : من الفتوة ، ويطلق على الذكر لفظة الشاب ، وعلى الأنثىٰ لفظ الشابة .

ويحدد القانون السوري فترة الفتوة بما يلي : هو اسم يطلق على الحدث الذي بلغ الخامسة عشرة ولم يتجاوز الثامنة عشرة ـ وهي مرحلة المراهقة ـ .

هـ ـ **التمييز** : اختُلف في تحديد مدتها ، ورجّح الإمام النووي رحمه الله تعالىٰ عدم تحديدها بمدة محددة : (ولا ينضبط التمييز بسنٍّ ، بل يختلف باختلاف الأفهام)[2] .

و ـ **المراهقة** : واختُلف في تحديد مدتها ، لكن تدور تعريفاتها حول ما يلي :

. . . من قارب الحُلُمَ أو البلوغ ولم يحتلم بعد .

---

(١) للتوسّع يراجع : الكليات : ٥٦٥ ، لسان العرب : ٢/ ٤٣٩ ، تهذيب الأسماء والصفات : ٤/ ٦٢ ، فتح الباري : ٥/ ٢٣٠ .

(٢) تحرير التنبيه للنووي : ١٥٣ .

وقال الجرجاني : المراهق : صبي قارب البلوغ ، وتحرّكت آلته ، واشتهى[1] .

وجاء في موسوعة علم النفس تعريف آخر لفترة المراهقة ، وهو :

المراهقة : مرحلة من مراحل التطور تبدأ من البلوغ ، وتتسم بحشدٍ من التغيرات الفسيولوجية ، والنفسية ، والاجتماعية بجنباتها المختلفة ، ويقصدون بالبلوغ النمو الفسيولوجي الجنسي فقط ، وبما أن الفكر الغربي يعدُّ البلوغ داخل ضمن فترة الطفولة ، فقد عدّ بعضهم المراهقة مرحلة متوسطة بين الطفولة والرشد[2] .

وقسم بعض العلماء فترة المراهقة إلى ثلاثة أقسام ، هي :

١ـ المراهقة المبكّرة : وتبدأ من سنّ الثانية عشرة إلى تمام الرابعة عشرة .

٢ـ المراهقة المتوسطة : وتبدأ من سنّ الخامسة عشرة إلى تمام السابعة عشرة .

---

(١) التعريفات : ٢٠٨ .

(٢) الموسوعة : ٧٠٤ ، والمعجم الفلسفي : ٢/ ٣٦٢ .

٣ـ المراهقة المتأخرّة : وتبدأ من سنّ الثامنة عشرة إلى سن الحادية والعشرين[١] .

ز ـ الرشد :

لغةً هو : الاستقامة علىٰ طريق الحق ، مع تصلّب فيه ، وقيل : هو إصابة الحق .

واصطلاحاً يعني : صلاح الإنسان في أمور المال فقط .

ويفرّق علماء النفس والتربية بين الرشد البدني ، والرشد النفسي ، فالرشد البدني : لا يتحقق قبل بلوغ الحادية والعشرين ، بينما يعني الرشد النفسي أن الفرد قد تجاوز مرحلة الطفولة والاعتمادية ، وأصبح مكتمل النمو في كلّ أو معظم جوانبه .

وحددت المادة (١٦٣) من قانون الأحوال الشخصية السوري سن الرشد بثمانية عشرة سنة شمسية كاملة[٢] .

إضافةً إلىٰ ذلك ، فهناك مراحل أخرى : كالتكليف ، والبلوغ ، ونحو ذلك . . لكن لم ندخلها في التقسيم

---

(١) علم نفس النمو للدكتور حامد زهران : ٣٣٥ـ٣٣٦ .

(٢) للتوسع يراجع : القانون المدني السوري : ١٧ ـ ١٨ ، المدخل الفقهي للزرقاء : ٢/ ٧٩٥ ، أصول الفقه للشيخ محمد أبو زهرة : ٣١٦ .

المعتمد ، لأنها متداخلة مع المراحل الأخرىٰ ـ والله أعلم ـ .

وفي مرحلة الطفولة يجب علىٰ الآباء والأمهات أن يؤدبوا أولادهم ، ويربّوهم ، سواءً كان ذلك فيما يتعلّق بالتربية الجسمية ، أو النفسية والروحية والوجدانية ، أو العقلية ، أو السلوكية والاجتماعية ، وعليهم أن يقوموا بحضانة أطفالهم ، خاصة الأم .

وعلىٰ الآباء والأمهات أن يقوموا ببعض الأمور الفقهية ـ والتي تتعلّق بمرحلة الطفولة ـ مثل : التأذين في أذن المولود ، والإقامة في الأذن الأخرىٰ ، وتحنيكه أي : أن يمضغ الأب تمرةً ثم يدلك حنك الطفل ، وكذلك الختان ، والرضاع .

إذاً : هناك حقوق شرعية مضبوطة تثبت للولد ، أهمها :

أ ـ حق الحياة :

وقد وضعت الشريعة الإسلامية جملةً من الأحكام ، وذلك بهدف حفظ حق حياة الولد ، أهمها :

١ـ حرمة قتل الأولاد : خاصة من خشية الفقر والعالة ، فعن شرحبيل عن عبد الله قال : قلت : يا رسول الله! أيّ الذنب أعظم ؟

قال : « أن تجعل لله ندّاً وهو خلقك » .

قلت : ثم أي ؟

قال : « أن تقتل ولدك خشية أن يأكل معك » .

قلت : ثم أيّ ؟

قال : « أن تزاني حليلة جارك »[1] .

والقرآن أوضح المسألة في موضعين ، من ذلك قوله تعالىٰ :

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾[2] [الإسراء : ٣١] .

٢ـ تحريم العادة البشعة ، وهي وأد البنات : وهذا ما كان عليه أهل الجاهلية الأولىٰ ، وذلك من خلال نظرتهم إلىٰ البنت علىٰ أساس أنها مجلبة للعار ، مجلبة للفقر .

قال تعالى في معرض تصوير تلك الجريمة النكراء : ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن

---

(١) صحيح البخاري : ٤/ ١٦٢٦ ، صحيح مسلم : رقمه (٨٦) .

(٢) للتوسع يراجع كتاب : الرزق بين الحلال والحرام ، للمؤلف : ١٢٧ـ١٣٥ .

سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمۡسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمۡ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾

[النحل : ٥٨ـ٥٩]

وروىٰ المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إن الله حرّم عليكم عقوق الأمهات ، ومنعاً وهات ، ووأد البنات ، وكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال »[١] .

٣ـ تحريم كل ما يؤدي إلىٰ تخويف الأطفال : سواءً كان ذلك عن طريق إشهار السلاح في وجوههم ، أو كان عن طريق قصف البيوت التي يسكنونها ، أو اختطافهم ، أو الاعتداء عليهم ، وما إلىٰ هناك .

قال الإمام الشيرازي رحمه الله تعالىٰ : . . . وإن كان صبي على طرف سطح ، فصاح رجل ففزع فوقع من السطح ، ومات ضمنه ، لأن الصياح سبب لوقوعه[٢] .

٤ـ تحريم إهمال وضعه الصحي وما إلى هنالك .

---

(١) صحيح البخاري : ٢/٨٤٨ ، صحيح مسلم : رقمه (٥٩٣) .

(٢) المهذب في فقه الإمام الشافعي : ٣/٢٠٣ .

ب ـ حق النسب :

لذلك حرّمت الشريعة الإسلامية التبنّي ، مصداق ذلك قوله تعالىٰ : ﴿ . . . وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٤ـ٥] .

واهتمت الشريعة كثيراً بمسألة إثبات النسب ، وذلك عن طريق عقد الزواج الصحيح ، وكذلك بتحريم أن تنسب المرأة إلىٰ زوجها من تعلم أنه ليس منه ، وما إلىٰ هنالك من القضايا التي ذكرها الفقهاء .

ج ـ حق الإرضاع :

ودليل وجوب ذلك قوله تعالىٰ : ﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا

﴿سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾

[البقرة : ٢٣٣]

د ـ حق الإشراف والحضانة :

مصداق ذلك ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : أن امرأة قالت : يا رسول الله! إن ابني هذا كان بطني له وعاء ، وحجري له حواء ، وثديي له سقاء ، وإن أباه طلّقني ، وزعم أنه ينتزعه مني ، فقال ﷺ : « أنت أحقّ به ما لم تنكحي »[١] .

. . . إضافة إلىٰ حقوق الطفل في الإسلام ، هناك تشجيع علىٰ العناية به وحسن معاشرته ، والمتتبّع لما ورد في سيرة المصطفى ﷺ يرىٰ أمراً عجباً! ![٢]

فقد روىٰ أبو بريدة رضي الله عنه عن أبيه قال :

كان رسول الله ﷺ يخطبنا ، فجاء الحسن والحسين ، عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران ، فنزل رسول الله عن المنبر فحملهما ، فوضعهما بين يديه وقال : « صدق الله

---

(١) سنن أبي داود : رقمه (٢٧٧٦) .

(٢) للتوسع يراجع كتاب : إطلالة قرآنية على بيت النبوة ، للمؤلف : ١١٩ـ١٣٧ .

﴿ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [الأنفال : ٢٨] نظرت إلىٰ هذين الصّبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتىٰ قطعت حديثي ورفعتهما »[١] .

وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال :

قبّل رسول الله ﷺ الحسن بن عليّ ، وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالساً ، فقال الأقرع : إن لي عشرة من الولد ما قبّلت منهم أحداً ، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال : « من لا يَرحم لا يُرحم »[٢] .

لذلك لا بدّ للولد من اللعب ، وذلك لأن عنده طاقة ذهنية قوية ، وكذلك طاقة جسمية حركية ، فإذا مُنع من اللعب معنىٰ ذلك كُبتت فيه هذه الطاقات وكانت لذلك آثار وخيمة .

أجل!

إن المرحلة التي تسبق مرحلة المراهقة ـ أي : مرحلة الطفولة ـ هي أحد الأسس المهمة في تربية الفرد والجماعة ، وبالتالي ففيها امتداد وتأثير كبير علىٰ كل المراحل الأخرىٰ ، مصداق ذلك قوله ﷺ : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من

---

(١) سنن الترمذي : رقمه (٥٩٩) .

(٢) صحيح مسلم : رقمه (٢٣١٨) .

ثلاثة : صدقة جارية ، أو علمٍ يُنتفع به ، أو ولد صالح يدعو له »[1] .

* * *

(١) صحيح مسلم : رقمه (١٦٣١) .

obeikandl.com

الفصل الثالث

حكاية المراهقة في القرآن والسنّة

المراهقة : وهي مصدر الفعل الثلاثي المزيد بالألف (راهق) لم ترد في القرآن الكريم .

لكن الذي ورد مادة (رَهَق) مجرد ومزيد بالهمزة في أوله ، حيث تكرر في القرآن ثماني مرات .

وتكرر ورود مضارع (رهق) الثلاثي المجرد سبع مرات .

من ذلك قول الله تعالىٰ : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [يونس : ٢٦ـ٢٧] .

. . . لا يغشاها غبرة : ما فيها سواد ولا أثر هوان ما وكسوف بال ، والمعنىٰ لا يعرض عليهم ما يعرض لأهل النار ، أو لا يعرض لهم ما يوجب ذلك الحزن وسوء الحال .

. . . والمقصود بيان خلوص نعيمهم من شوائب المكاره إثر بيان ما منّ الله سبحانه به عليهم من النعيم[1] .

ووردت مادة (رهق) كمصدر ، وذلك في سورة الجن ، قال الله تعالىٰ في الحكاية : ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ [الجن : ٦] .

أي : كنا نرىٰ أن لنا فضلاً علىٰ الإنس لأنهم كانوا يعوذون بنا إذا نزلوا وادياً أو مكاناً موحشاً من البراري وغيرها ، كما كانت عادة العرب في جاهليتها يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجن أن يصيبهم بشيء يسوءهم ، كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه في جوار رجل كبير وذمامه وخفارته ، فلما رأت الجن أن الإنس يعوذون بهم من خوفهم منهم زادوهم رهقاً ، أي خوفاً وإرهاباً وذعراً حتىٰ بقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذاً بهم .

كما قال قتادة ﴿ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ أي إثماً ، وازدادت الجن عليهم بذلك جراءة[2] .

---

(١) باختصار من روح المعاني للآلوسي : ١١/ ١٠٣ .

(٢) تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير : ٧/ ١٣٢ .

وقال تعالىٰ في الحكاية :

﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ [الجن : ١٣] .

. . . ولعل هذا الرهق هو الضلال والقلق والحيرة التي تصيب قلوب من يركنون إلىٰ عدوهم ، ولا يعتصمون بالله منه ويستعيذونه كما هم مأمورون منذ أبيهم آدم وما كان بينه وبين إبليس من العداء القديم ، والقلب البشري حين يلجأ إلىٰ غير الله طمعاً في نفع ، أو دفع الضرّ ، لا يناله إلا القلق والحيرة ، وقلّة الاستقرار والطمأنينة .

. . . وهذا هو الرهق في أسوأ صوره ، الرهق الذي لا يشعر معه القلب بأمن ولا راحة[1] .

أما في السنة النبوية ، فقد وردت كلمة المراهقة عدة مرات ، تكتفي بالإشارة إلىٰ بعضها دون أي تعليق :

. . . عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال لأبي طلحة : التمس لي غلاماً من غلمانكم يخدمني حتىٰ

---

(١) في ظلال القرآن ، سيد قطب : ٦/٣٧٢٨ .

أخرج إلىٰ خيبر ، فخرج بي أبو طلحة مُردفي وأنا غلام راهقت الحلم ، فكنت أخدم النبي ﷺ إذا نزل ، فكنت أسمعه كثيراً يقول : « اللهم إني أعوذ بك من الهمّ والحزن ، والعجز والكسل ، والبخل والجبن ، وضَلَع الدّين وغلبة الرجال » ثم قدمنا إلىٰ خيبر[١] .

. . . وعن مالك رضي الله عنه أنه بلغه أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، كان إذا دخل مكة مراهقاً[٢] ، خرج إلى عرفة قبل أن يطوف بالبيت وبين الصفا والمروة ، ثم يطوف بعد أن يرجع .

قال الإمام مالك : وذلك واسع إن شاء الله[٣] .

. . . وعن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن المشركين لما رهقوا النبي ﷺ وهو في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش قال : « من يردّهم عنا وهو رفيقي في الجنة ؟ » .

فجاء رجل من الأنصار ، فقاتل حتىٰ قتل .

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني : ٦/ ٨٦ .
(٢) أي : إذا تأخر عن الوقت المحدّد ، وخاف أن يفوته الوقوف بعرفة .
(٣) موطأ الإمام مالك : ١/ ٣٧١ .

فلما أرهقوه أيضاً ، قال : « من يردّهم عني وهو رفيقي في الجنة ؟ »

حتى قُتل السبعة .

فقال الرسول ﷺ : « ما أنصفنا إخواننا »[1] .

* * *

(١) مسند الإمام أحمد : ٣/ ٢٨٦ .

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الرابع

خطورة المراهقة!!

لماذا تُعتبر مرحلة المراهقة من أخطر مراحل الإنسان ؟

ولماذا إذا لم يُخطط لاجتياز الشاب هذه المرحلة بأمان وسلام ، لماذا تستمر شقاوة الإنسان ، وإلىٰ ما بعد الموت ؟!

ولماذا إذا اجتازها الشاب بسلام ؛ استمر في سعادة طيلة الحياة ، بل وبعد الممات ؟!

لعل ذلك يأتي من خلال ما تحمله من أبعاد ، فهي المعبر بين طفولة الإنسان ونضجه ، بحيث كما قال العلماء : إذا كان الوضع هو (ولادة) الطفل ، فإن المراهقة هي (ولادة) الرجل أو المرأة!

وإذا كانت ولادة الطفل تستغرق ساعات ، فإن ولادة الرجل أو المرأة تستغرق سنوات!

وفي مرحلة المراهقة ينمو جسم الإنسان ، وتنمو قدراته العقلية ، وينفتح الإنسان علىٰ كل أنواع المعارف ، وتضطرب

أوضاعه النفسية والاجتماعية ، ويبدأ بالاعتماد على نفسه بعد أن كان يعتمد على غيره .

وتزداد حساسيته ، وتضطرب انفعالاته ، وتظهر لديه المشكلات الكثيرة .

والأمر المخيف هنا هو تعرّضه للانحراف ، سواء في الاتجاهات الفكرية أو السلوكية أو الدينية .

ويُلاحظ في مرحلة المراهقة أن النمو الجسمي يسبق النضج العقلي ، لذلك تبدو علىٰ المراهق مظاهر وآيات الرجولة ، كظهور الشاربين ، وزيادة الطول ، والبلوغ الجنسي ، وضخامة الصوت وخشونته وما إلى هنالك .

لكن من جانب آخر فانفعالاته وعقله دون المستوىٰ الموازي لنموه الجسمي ، فهو أكبر من مرحلة الطفولة ، وأصغر من مرحلة الرّجولة!

وإذا فهم المربّون سواء في البيت أو المدرسة هذا الأمر وما يتعلق به ، فقدّروا ذلك ، وراعوا الأمر ، كان ذلك أمراً حسناً ، وإلا إذا تعاملوا مع عقل المراهق كما يتعاملون مع نمو جسمه كانت الآثار الوخيمة ، وفي ذلك يقول السيد محمد حسين فضل الله : (إن مرحلة المراهقة تماماً كما هي توازن

البحر ، فكأن الإنسان الذي يدخل في المرحلة الثانية من حركة الإنسان يستعدُّ لوجودٍ جديد ، وينطلق في تجربة إنسان آخر ، أو إيجاد قاعدةٍ لمرحلة أخرىٰ ، ولكنّ دور التربية هو أن تحمي الإنسان من الضياع .

ذلك لأن جنون الغريزة يعني استيقاظ حركة التمرّد في الإنسان ، والتطلّع نحو آفاقٍ غير واضحة ، قد تجعل الإنسان يفقد توازنه ، لأنه لم يختزن تجربة سابقة يستعين بها علىٰ إيجاد التوازن .

وعندما ندرس كل ذلك ، فإننا نعدُّ مسألة المراهقة حالةً طبيعيةً في الإنسان ، لأنها الحالة التي ينطلق فيها هذا المخلوق ، الذي تحرّكت فيه عملية النمو الجسدي ، بطريقةٍ هيّأت له في البداية إيحاءات غائمة ، ثم أدخلته في الجو الثائر المتمرّد ، الذي ينقله من حالة الاستسلام والخضوع للآخر ، إلىٰ حالة الشعور بوجوده واستقلاله ، ولكن من دون أن تكون هناك خطوط مستقيمة واضحة وهادئة تؤكد له ذلك)[1] .

لهذا فكل الشكاوىٰ التي تنطلق من الآباء والأمهات من

---

(١) باختصار وتصرّف من كتاب : دنيا الشباب : ٨٠ـ٨١ .

المراهقين ، تكمن في عدم تفهمهم لخطورة المرحلة التي يمرّ بها أولئك الشباب .

أما البيت الذي يمرّ فيه الشباب ضمن مرحلة المراهقة بسلام وأمان ، فهو البيت الذي يعامل المراهق من خلال وقائع التبدّل الذي يحدث له . . . ، وشتان بين بيتٍ وبيت ! !

* * *

opeikandl.com